



زوار الشاطئ الخالي

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

مكتبة العبيكان

٢ مكتبة العبيكان ، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البقالي، أحمد عبد السلام

زوار الشاطئ الخالي . - الرياض

... ص؛ ... سم . - (سلسلة كتاب الشباب)

ردمك ٨ - ٢٣٤ - ٢٠ - ٩٩٦٠

١ - القصص البوليسية العربية أ - العنوان ب - السلسلة

١٧ / ٠١٤٢

ديوي ٠٨٧٢ ، ٨١٣

رقم الإيداع : ١٧ / ٠١٤٢

ردمك ٨ - ٢٣٤ - ٢٠ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى ١٤١٧هـ

الطبعة الثانية - مكررة

٢٠٠٠م / ١٤٢٠هـ

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

جَلَسَ مَنْصُورٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ يَرَعَى أَعْنَامَهُ السَّبْعَةَ، وَيَقْرَأُ فِي
لُوحِ سُورَةِ الرَّحْمَنِ . كَانَ قَدْ تَرَكَ كُتَّابَ الْقَرْيَةِ بَعْدَ وِفَاةِ وَالِدِهِ
لِیْرَعَى الْأَعْنَامَ الَّتِي كَانَتْ مَصْدَرَ عَیْشِ الْأُسْرَةِ .

كَانَ يَرْفَعُ عَيْنَيْهِ عَنِ اللُّوحِ لِيَنْظُرَ إِلَى الْأَعْنَامِ مَرَّةً، وَإِلَى الْبَحْرِ
أُخْرَى . كَانَ يَطْمَعُ فِي أَنْ يَرَى سَفِينَةً تَمُخَّرُ عِبَابَ الْمَحِيطِ عَلَى
حَفَافِ الْأَفْقِ النَّائِي . فَقَدْ كَانَ مَنْظَرُ السَّفِينِ الْعَابِرَةِ الْمَحِيطَاتِ
يَلْهُبُ خَيَالَهُ، وَيَشْوِقُهُ إِلَى السَّفَرِ وَالْمَغَامِرَةِ . فَقَرِئَتْهُ «الْدمِينَةُ»
هَادِئَةٌ هَدْوَاءَ الْمَقَابِرِ، وَلَا يَجِدُ فِيهَا شَيْءٌ أَبَدًا .

وَسَمِعَ صَوْتَ مُحَرِّكٍ فَانْظَرَ إِلَى الْبَحْرِ، فَإِذَا بِمَرْكَبٍ يَقْتَرِبُ مِنْ
الشَّاطِئِ، فَوَضَعَ مَا كَانَ بِيَدِهِ، وَجَرَى صَوْبَ الشَّاطِئِ لِيَنْظُرَ
إِلَيْهِ . لَمْ يَكُنْ رَأَى مِنْ قَبْلِ مَرْكَبًا عَنْ كَثِبِ .

وَتَوَقَّفَ الْمُحَرِّكُ، وَرَأَى مَنْصُورٌ مَخْطَافًا كَبِيرًا يَتَدَلَّى بِسَلْسِلَةٍ
يَنْزِلُ فِي الْمَاءِ مِنْ جَانِبِ الْمَرْكَبِ .

وَنَزَلَ مِنَ الْمَرْكَبِ رِجَالٌ أَشِدَّاءُ إِلَى زُورَقٍ كَانَ مَرْبُوطًا خَلْفَهُ
بِحَبْلِ ، وَأَخْرَجُوا الْمَجَادِيفَ وَأَخَذُوا يَجِدْفُونَ صَوْبَ الشَّاطِئِ ،
وَمَنْصُورٌ وَاقِفٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ مَسْرُورًا وَمُبْهُورًا !

قَفَزَ رِئِيسُهُمْ مِنَ الزُّورَقِ ، وَكَانَ رِجُلًا ضَخْمًا ، ذَا لِحْيَةٍ كَثَّةٍ
سَوْدَاءَ ، وَرَأْسٍ حَلِيقٍ ، يَلْبَسُ قَمِيصًا مَفْتُوحًا مِنَ الصَّدْرِ ،
وَسِرْوَالًا مِنَ الْقَمَاشِ الْقَلْعِ الْأَزْرَقِ .

وَخَافَ مَنْصُورٌ حِينَ نَظَرَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ . كَانَ الشَّرُّ بَادِيًا عَلَى
وَجْهِهِ .

سَأَلَهُ الرَّجُلُ بِصَوْتِ أَمْرٍ :

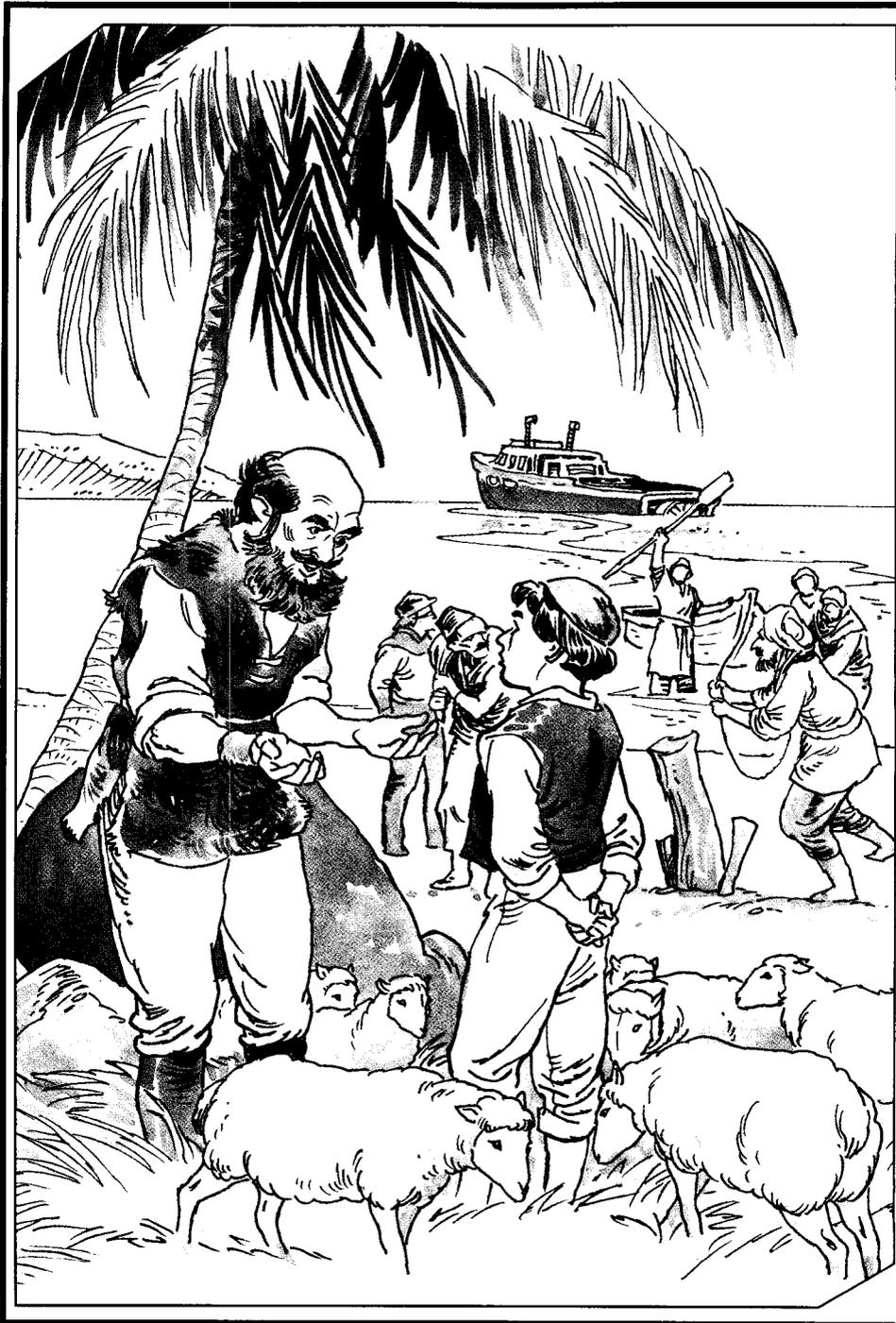
- مَاذَا تَفْعَلُ هُنَا يَا غُلَامُ ؟

فَأَجَابَ مَنْصُورٌ :

- أَرْعَى أَعْنَامِي ، يَا سَيِّدِي .

وَنَظَرَ الرَّجُلُ إِلَى الْأَعْنَامِ ، وَابْتَسَمَ ابْتِسَامَةً لَمْ تُعْجِبْ

مَنْصُورًا ، وَعَادَ يَسْأَلُ :



- مَا اسْمُ تِلْكَ الْقَرْيَةِ ؟

- اسْمُهَا (الدُّمَيْنَةُ).

فَنظَرَ الرَّجُلُ إِلَى مَنْصُورٍ، وَأَشَارَ إِلَى أَصْحَابِهِ :

- أَنَا وَأَصْحَابِي تُجَارُ غَنَمٍ . فَهَلْ عِنْدَكُمْ أَغْنَامٌ فِي قَرْيَتِكُمْ

هَذِهِ (المَدِينَةُ) ؟

فَقَطَاعَهُ مَنْصُورٌ مُصَحِّحًا :

- الدُّمَيْنَةُ ، يَا سَيِّدِي .

فَحَكَ الرَّجُلُ رَأْسَهُ ، وَكَرَّرَ :

- نَعَمْ ، الدُّمَيْنَةُ . هَلْ عِنْدَكُمْ أَغْنَامٌ لِلْبَيْعِ ؟

- لَا أَدْرِي يَا سَيِّدِي . . أَغْلِبُ أَهْلُ الْقَرْيَةِ فِي سُوقِ

المَدِينَةِ . .

فَظَهَرَ الْارْتِيَاخُ عَلَى وَجْهِ الرَّجُلِ الْخَشِنِ ، وَلَكِنَّهُ حَاوَلَ

إِخْفَاءَهُ بِقَوْلِهِ :

- لِلْأَسْفِ ! وَأَغْنَامُكَ هَذِهِ ، هَلْ تَبِيعُهَا ؟

- لآ، يَا سَيِّدِي، سَنَيْعُهَا فِي الْعِيدِ الْكَبِيرِ.

فَابْتَسَمَ الرَّجُلُ مَرَّةً أُخْرَى وَقَالَ لِمَنْصُورٍ:

- أَمْسِكْ بِحَبْلِ الزَّورِقِ حَتَّى لَا يَجْرِفَهُ الْبَحْرُ، وَانْتَظِرْنَا هُنَا.

وَأَشَارَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَتَبِعُوهُ صَوَّبَ الْقَرْيَةَ.

وَوَقَفَ مَنْصُورٌ يَتَأَمَّلُ الْمَرْكَبَ، فَرَأَى فِي مُؤَخَّرَتِهِ، تَحْتَ
الْمَاءِ، مِرْوَحَةً نَحَاسِيَّةً كَبِيرَةً. وَتَسَاءَلَ «مَاذَا تَفْعَلُ الْمِرْوَحَةُ هُنَاكَ
تَحْتَ الْمَاءِ؟».

وَفَجْأَةً سَمِعَ صَوْتَ الْبَارُودِ، وَصُرَاخَ النِّسَاءِ، فَالْتَفَتَ نَحْوَ
الْقَرْيَةِ، فَإِذَا الْبَحَّارَةُ يُقُودُونَ أَمَامَهُمْ عَدَدًا كَبِيرًا مِنْ أَعْنَامِ الْقَرْيَةِ
نَحْوَ الشَّاطِئِ.

حَيْثُ نَدَّ فَقَطُّ أَدْرَكَ مَنْصُورٌ أَنَّهُمْ لَيْسُوا تِجَّارَ أَعْنَامٍ، بَلْ قَرَاصِنَةٌ
وَلِصُوصًا!

وَأَسْرَعَ صَوَّبَ أَعْنَامِهِ لِيُبْعِدَهَا عَنْ طَرِيقِهِمْ، وَلَكِنَّهُ وَصَلَ
مَتَأَخَّرًا. كَانُوا قَدْ جَرَفُوهَا أَمَامَهُمْ مَعَ بَقِيَةِ الْقَطِيعِ الْكَبِيرِ.



واعتَرَصَ مَنْصُورُ الْأَغْنَامِ مُحَاوِلًا الْإِمْسَاكَ بِقُرُونِ بَعْضِهَا،
وَلَكِنَّ أَحَدَ الْقَرَاصِنَةِ أَمْسَكَهُ مِنْ رَقَبَتِهِ، وَطَرَحَهُ أَرْضًا، وَصَوَّبَ
مُسَدَّسَهُ نَحْوَهُ مُهْدِدًا:

- إِذَا حَاوَلْتَ ذَلِكَ مَرَّةً أُخْرَى أَفْرَغْتُ هَذَا فِي رَأْسِكَ !

وَجَلَسَ مَنْصُورٌ يَبْكِي مِنَ الْقَهْرِ وَالْعَجْزِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى
الْقَرَاصِنَةِ يَضَعُونَ الْأَغْنَامَ فِي الزَّورِقِ، وَيَحْمِلُونَهَا إِلَى الْمَرْكَبِ،
حَتَّى شَحَنُوهَا كُلَّهَا، وَأَشْعَلُوا الْمُحْرَّكَ، وَانْطَلَقُوا يُشَقُّونَ وَجْهَ
الْبَحْرِ.

وَوَقَفَ نِسَاءُ الْقَرْيَةِ عَلَى الشَّاطِئِ يَبْكِينَ، وَيَنْدُبْنَ، وَيَدْعِينَ
عَلَى الْقَرَاصِنَةِ بِالْغَرَقِ وَالْمَوْتِ.

وَعَادَ مَنْ كَانَ فِي السُّوقِ مِنْ رِجَالِ الْقَرْيَةِ وَنِسَائِهَا. وَحِينَ
عَرَفُوا بِخَبْرِ السَّرِقَةِ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ لِإِخْبَارِ مَرْكَزِ الشَّرْطَةِ،
وَالتَّفَ الْبَاقُونَ حَوْلَ مَنْصُورٍ لِيُحْكِيَ لَهُمْ عَن نُّزُولِ الْقَرَاصِنَةِ.

وَجَاءَ رِجَالُ الشَّرْطَةِ فَسَمِعُوا الْقِصَّةَ مَرَّةً أُخْرَى، وَكَتَبُوا مُحَضَّرًا
بِهَا. وَسَأَلَ قَائِدُهُمْ مَنْصُورًا:

- هَلْ يُمَكِّنُكَ تَعْرِفُ الْقَرَاصِنَةَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ ؟

فَأَجَابَ مَنْصُورٌ:

- بِكُلِّ تَأَكِيدٍ !

وَبَاتَ مَنْصُورٌ يَجْتَرِ غَضْبَهُ وَحَسْرَتَهُ ؛ فَقَدْ كَانَتْ الْأَغْنَامُ
السَّبْعَةَ هِيَ مَصْدَرٌ عَيْشُهُمَا هُوَ وَأُمُّهُ . وَنَامَ نَوْمًا مَتَقَطَّعًا عَامِرًا
بِالْكُوبَيْسِ الْمَخِيفَةِ .

وَجَلَسَتْ أُمُّهُ إِلَى جَانِبِهِ تُهَوِّنُ عَلَيْهِ ، رَغَمَ حُزْنِهَا هِيَ
الْأُخْرَى ، وَتَقُولُ لَهُ :

- لَا تَبْكِي ، يَا وَلَدِي . . الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْ تَرُكُوكِ لِي حَيًّا . . أُمَّ
الْأَغْنَامِ فَسَوْفَ يُعَوِّضُهَا اللَّهُ لَنَا . وَقَدْ تَقْبِضُ الشَّرْطَةَ عَلَيْهِمْ قَرِيبًا .

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ وَدَعَّ أُمُّهُ ، وَنَزَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَامِلًا عَلَى ظَهْرِهِ
جَرَابًا مَلَأْتُهُ لَهُ أُمُّهُ خَبْزًا وَجَبْنًا وَزَيْتُونًا وَتِينًا مَجْفَفًا ، وَفِي نَيْتِهِ
الْبَحْثُ عَنِ عَمَلٍ .

وَتَسَكَّعَ فِي شُورَاعِ الْمَدِينَةِ وَأَزْقَتْهَا ، وَبَيْنَ دَكَكِنِهَا وَمَنَازِلِهَا

ومعاملها ثلاثة أيام، لا يتجرأ أن يسأل أحداً عن عملٍ . كَانَ
يَنَامُ فِي الْمَرَائِبِ الْقَدِيمَةِ الْمَهْجُورَةِ عَلَى الشَّاطِئِ، أَوْ فِي بَيْتِ
النَعُوشِ بِالْمَقْبَرَةِ .

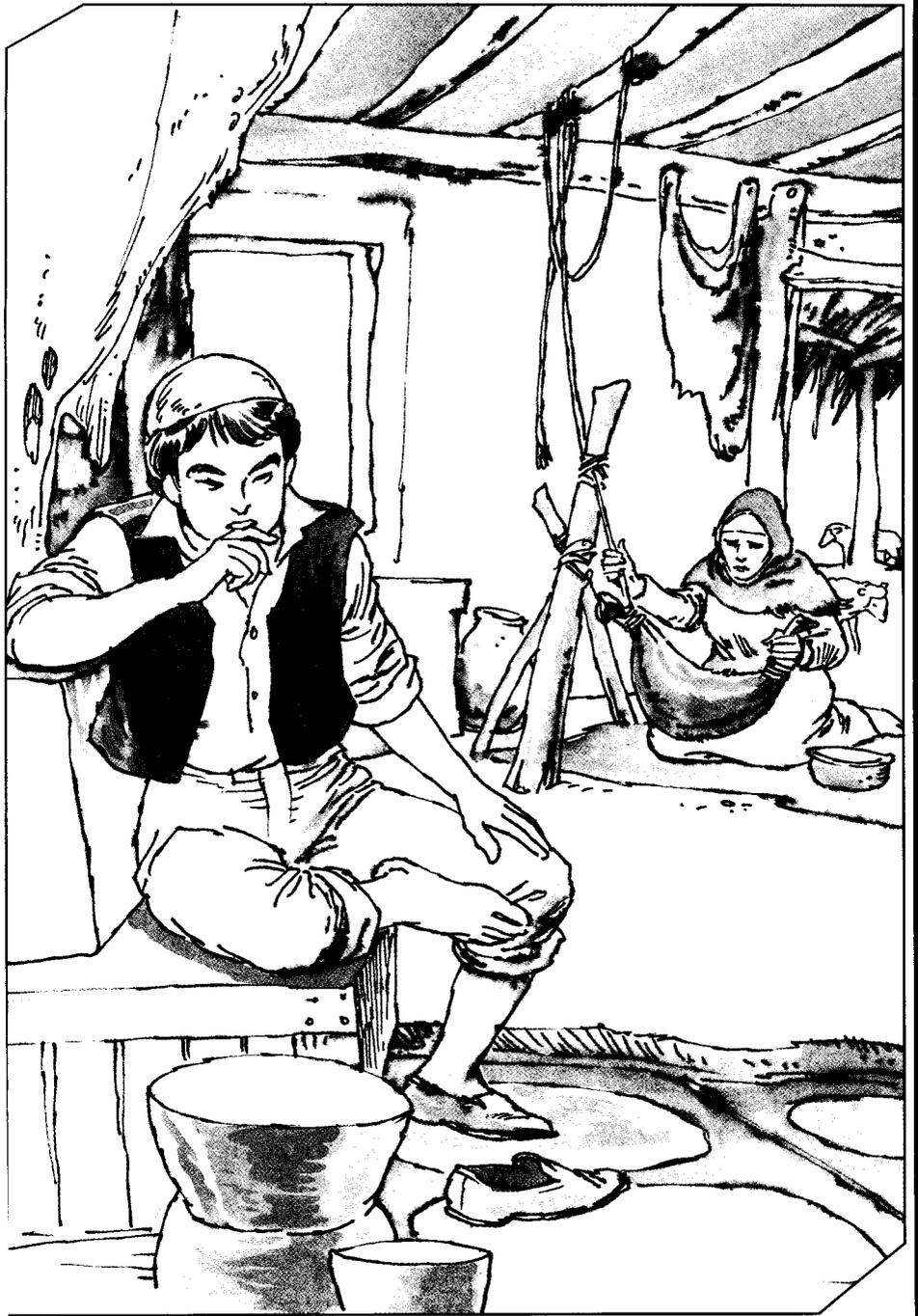
وَحِينَ نَفَدَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ زَادٍ اضْطُرَّ إِلَى الْعُودَةِ إِلَى قَرِيْبَتِهِ
بِقَلْبٍ ثَقِيلٍ حَزِينٍ .

وَصَادَفَ وَقْتُ رُجُوعِهِ، لِحُسْنِ حَظِّهِ، خُرُوجَ طَائِفَةٍ مِنَ
الْعِلْمَانِ فِي مِثْلِ سَنِهِ مِنْ إِحْدَى الْمَزَارِعِ، فَاخْتَلَطَ بِهِمْ، وَوَجَدَ
مِنْ بَيْنِهِمْ بَعْضَ مَعَارِفِهِ .

وَحِينَ عَرَفُوا أَنَّهُ كَانَ يَبْحَثُ عَنْ عَمَلٍ اقْتَرَحُوا عَلَيْهِ الْاِنْضِمَامَ
إِلَيْهِمْ؛ فَصَاحِبُ الْمَزْرَعَةِ فِي حَاجَةٍ إِلَى يَدِ عَامِلَةٍ إِضَافِيَةٍ .

وَفِعْلاً، أَصْبَحَ عَامِلاً بِمَزْرَعَةِ الْبَيْضِ الشَّاسِعَةِ الْأَطْرَافِ .
وَأَصْبَحَ يَتَقَاضَى سِتَّةَ دَرَاهِمٍ أَجْرَةً يَوْمِيَّةً عَلَى عَمَلِهِ .

وَفِي نِهَآيَةِ الْمَوْسِمِ كَانَ قَدْ تَوَافَرَ لِمَنْصُورٍ مِنْ عَمَلِهِ وَلَا مَهٍ مِنْ
عَمَلِهَا هِيَ الْأُخْرَى مَا اسْتَطَاعَا بِهِ شِرَاءَ خِرْفَانٍ صَغِيرَةٍ .



وَجَاءَ أَحَدُ أَقْرَبَائِهِ مِنْ عَمَلِهِ بِأَحَدِ حَقُولِ الْبَتْرُولِ فَأَعْطَاهُ
مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ لِشِرَاءِ نَعَاجٍ أُخْرَى يَشْتَرِكَانِ فِيهَا مَنَاصِفَةً .

وَأَصْبَحَ مَنْصُورٌ مَسْئُولًا عَنْ قَطِيعِ أَكْبَرَ مِنْ قَطِيعِهِ الْأَوَّلِ .

فَكَانَ يَنْزِلُ بِهِ كُلَّ فَجْرٍ إِلَى الْغَدِيرِ حَيْثُ الْكَلَاءُ الْغَزِيرِ قُرْبَ
الشَّاطِئِ ، وَيَعُودُ بِهِ كُلَّ مَسَاءٍ إِلَى الدَّارِ .

وَكَانَ يَمْلَأُ وَقْتَ فِرَاقِهِ بِحِفْظِ مَا تَبَقَّى لَهُ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَقِرَاءَةِ
بَعْضِ كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالسِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، كَمَا أَوْصَاهُ وَالِدُهُ قَبْلَ أَنْ
يَمُوتَ . كَانَ وَالِدُهُ دَائِمًا يَنْصَحُهُ بِاِكْتِسَابِ الْعِلْمِ ، لَا لِلْحَصُولِ
عَلَى وَظِيفَةٍ فَقَطْ ، بَلْ لِيَكُونَ إِنْسَانًا أَفْضَلَ ، وَيَضْرِبُ لَهُ الْأَمْثَالَ
بِالْفَرَقِ بَيْنَ عَالَمِ الْقَرْيَةِ وَبَعْضِ رِعَاتِهَا الْأَمِينِ . . .

وَحِينَ كَانَ يَتَعَبُ مِنَ الْقِرَاءَةِ كَانَ يَصْنَعُ السَّلَالَ مِنْ قَصَبِ
الْغَدِيرِ ، أَوْ الْقُفْفَ وَالْأَجْرِبَةَ وَالْحِبَالَ مِنَ الْحِلْفَاءِ ؛ لِتَبِيعِهَا أُمَّهُ
فِي السُّوقِ الْأَسْبُوعِيَّةِ .

وَكَفَّتْ أُمَّهُ عَنِ الْعَمَلِ مَعَ النَّاسِ . وَتَفَرَّغَتْ لِمُخْضِ
الْحَلِيبِ ، وَصُنِعَ الْجُبْنُ وَالزُّبْدَةُ وَبِيعَتْ فِي الْأَسْوَاقِ .

وَتَحَسَّنَتْ حَالَهُمَا كَمَا تَحَسَّنَتْ حَالَ جَمِيعِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ، بَعْدَ أَنْ
عَوَّضُوا مَا أَخَذَهُ مِنْهُمْ الْقَرَاصِنَةُ، وَنَسُوا جَمِيعًا ذَلِكَ الْيَوْمَ
الْمَشُورَمَ.

لَكِنَّ مَنْصُورًا لَمْ يَنْسَ الْإِهَانَةَ الَّتِي لَحِقَتْ بِهِ مِنْ مَعَامَلَةِ
الْقَرَاصِنَةِ الْأَجْلَافِ لَهُ، وَالْقَهَرَ الَّذِي أَحَسَّ بِهِ وَهُوَ يَرَى أَغْنَامَهُ
تُشْحَنُ فِي الْمَرْكَبِ أَمَامَ عَيْنَيْهِ وَهُوَ عَاجِزٌ عَنِ الدَّفَاعِ عَنْ حَقِّهِ،
يَبْكِي كَطِفْلِ صَغِيرٍ. وَلَمْ يَنْسَ كَذَلِكَ الْأَيَّامَ الثَّلَاثَةَ الَّتِي
قَضَاهَا مُتَسَكِّعًا فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ يَبْحَثُ عَنْ عَمَلٍ، وَيَنَامُ فِي
الْمَرَائِبِ الْمَهْجُورَةِ عَلَى الرَّمْلِ، وَبَيْنَ الْمَحَامِلِ وَالْمَغَاسِلِ فِي
الْمَقْبَرَةِ، وَمَا كَانَ يُعَانِيهِ مِنْ رُغْبٍ بِاللَّيْلِ، وَهُوَ يَتَصَوَّرُ عِدَدَ
الْأَمْوَاتِ الَّذِينَ غُسِّلُوا فَوْقَ تِلْكَ الْمَغَاسِلِ، أَوْ حُمِلُوا فَوْقَ تِلْكَ
الْمَحَامِلِ!

وَلَمْ يَنْسَ أَنَّهُ جَاعَ فِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ، حِينَ انْتَهَى مَا كَانَ مَعَهُ
مِنْ زَادٍ، حَتَّى كَادَ يَبْحَثُ عَنْ فَضَلَاتِ الطَّعَامِ فِي الْمَزَابِلِ،
وَيَمُدُّ يَدَهُ لِلتَّسْوُلِ. لِذَلِكَ قَرَّرَ أَنْ يَحْتَاطَ أَكْثَرَ هَذِهِ الْمَرَّةِ.
وَحُضُوصًا أَيَّامَ السُّوقِ، حِينَ تَخْلُو الْقَرْيَةُ.

وفي صباح أحد أيام السوق فعلا، وبينما كان منصوباً
منهمكاً في صنع جرابٍ من الحلفاء وهو يرعى أغنامه العشرين
قرب غديره المعشب، إذ لمح شيئاً يتحرك فوق الماء. وحين رفع
عينيه رأى مركباً يقترب بشراعه المتفخ بسرعة مزعجة نحو
الشاطئ... لا بد أنه أسكت محركه حتى لا يثير انتباه أهل
القرية إليه.

فوئب من مجلسه، وأخذ يهش على غنمه بعصاه، حتى
أدخلها غابة من القصب والعليق بعيدة عن طريق القراصنة
إلى القرية.

في وسط تلك الغابة كان قد صنع زريبة، وجعل لها باباً من
القصب.

وحين استقرت الأغنام بها وقف يراقب حركات القراصنة
وهم ينزلون القلوع ويهبطون من المركب الكبير إلى الزورق، ثم
يخدفون إلى الشاطئ، ويسحبون القارب إلى الرمل.

ورأى كبيرهم الأضلع صاحب اللحية الكثيفة، يتقدمهم،
ويستعجلهم للصعود إلى القرية. ودق قلب منصور حين وقف



الْقُرْصَانُ الْكَبِيرُ يَنْظُرُ إِلَى آثَارِ مُرُورِ أَغْنَامِهِ عَلَى الْأَرْضِ . .
وَأُنْحِنَى ، فَالْتَقَطَ بَعْضَ الرَّوْثِ وَنَظَرَ فِي اتِّجَاهِ غَابَةِ الْقَصَبِ ،
وَابْتَسَمَ ابْتِسَامَةً مَآكِرَةً ، ثُمَّ رَمَى بِالرَّوْثِ ، وَأَشَارَ إِلَى أَصْحَابِهِ
لِيَتَّبِعُوهُ إِلَى الْقَرْيَةِ .

وَتَنَفَّسَ مِنْصُورَ الصُّعْدَاءِ ، حِينَ لَمْ يَقْصِدْهُ الْقُرْصَانُ . وَرَفَعَ
رَأْسَهُ قَلِيلًا ، لِيُرَاقِبَهُمْ وَهُمْ يَصْعَدُونَ الْمُرْتَفِعَ نَحْوَ الْقَرْيَةِ
الْمُسْكِينَةِ كَذَثَابٍ بَشْرِيَّةٍ جَائِعَةٍ .

وَنَظَرَ إِلَى الْمَرْكَبِ الْكَبِيرِ بِإِمْعَانٍ فَلَمْ يَرَ فِيهِ أَحَدًا . وَخَلَعَ
مَلَاسَهُ وَتَحَزَّمَ بِحَبْلِ ، وَعَلَّقَ بِهِ سِلْكَا كَانَ يَحْتَفِظُ بِهِ فِي الزَّرِيَّةِ .
وَزَحَفَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْعَدِيرِ الَّذِي كَانَ يَصُبُّ فِي الْبَحْرِ ،
وَسَبَحَ فِيهِ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى حَيْثُ تَتَكَسَّرُ الْأَمْوَاجُ ، وَغَطَسَ وَعَامَ
تَحْتَ الْمَاءِ ، حَتَّى خَرَجَ خَلْفَ الزُّورِقِ الَّذِي كَانَ نَصْفَهُ الْخَلْفِي
مَا يَزَالُ فِي الْمَاءِ .

وَرَفَعَ رَأْسَهُ بِحَذَرٍ مِنْ وَرَاءِ الزُّورِقِ ، لِيَرَى هَلْ رَأَى أَحَدًا .
وَحِينَ اطْمَأَنَّ أَطَّلَ بِدَاخِلِ الزُّورِقِ ، وَأَخْرَجَ الْمَجْدَافِينَ وَاحِدًا



بعد الآخر، وسحبها خلفه، وزحفَ بهما على يديه وركبتيه
وسط الغدير حتى لا يترك أثراً.

وفي أعلى الغدير حملهما بين القصبِ إلى بئرٍ عميقة، ورمأهما
بداخلها، فانغرسا في الوحلِ الناعمِ بقعرها. . !

وعادَ إلى الغديرِ زاحفاً، وخاضَ فيه حتى الموج، ثم غطسَ
وسبحَ تحت الماءِ لا يُخرجُ رأسه إلا ليتنفسَ، ثم يعودُ إلى
الغطسِ، حتى وصلَ إلى المركبِ.

ومن تحتِ الماءِ ظهرَ له بطنُ المركبِ كبطنِ حوتٍ ضخيمٍ
معلقٍ في الهواءِ. وقصدَ المروحةَ النحاسيةَ، وأخذَ السلكَ من
حزامه، وعلَّقه عليها، وصعدَ ليتنفسَ ثمَّ عادَ إلى الغطسِ.
وربطَ الحبلَ بالإطارِ الذي تدورُ بداخله المروحةُ، وعادَ إلى
السطحِ، ونظرَ في اتجاهِ الشاطئِ، ثم استنشَقَ بعمقٍ، ونزلَ إلى
القعرِ.

وهناكَ بحثَ عن حجرٍ صلبٍ، وربطَه بطرفِ الحبلِ،
وصعدَ بسرعةٍ إلى سطحِ الماءِ، وقد ضاقتَ نفسه.



وأطلع الحجرَ بالحبلِ حتى أمسكَ به ، ووضعَه بينَ المروحةِ
والإطارِ، وربطَهُ إليهما بالسلكِ ربطًا محكمًا، بحيثُ يستحيلُ
أن تدورَ المروحةُ دونَ أن تنكسرَ!

وبينما هو يستريحُ ممسكًا بسلمِ الخشبِ المدلّي من جانبِ
الركبِ استعدادًا لرحلةِ العودةِ إذ أحسَّ كأنَّ أحدًا يراقبه .
وحينَ رفعَ عينيه نحوَ أعلى المركبِ رأى وجهَ قرصانِ عجوزٍ
أعورَ غارقٍ في لحيّةِ شمطاء! وقد تطايرَ الشرُّ من عينه
الوحيدة، واستلَّ من حزامه مسدسًا، ووجهه إلى منصورٍ،
وصاحَ فيه بصوتٍ كالرعد :

- ماذا تفعلُ هناكَ؟! -

- لا شيءَ يا سيّدي . . كنتُ أسبحُ فقط . .

- ابتعدْ من هنا، وإلاّ أطعمتُ الحيتانَ لحمك !

- حالاً يا سيّدي حالاً !

- وابتعدْ منصورٌ، وقد زادَ سُروره بما فعل .

وعلى الشَّاطِئِ سَمِعَ طَلَقَاتِ الْبَارُودِ، وصيحات النساءِ
والأطفالِ، ورُغَاءِ الشَّيْأِ، وثُغَاءِ المَاعِزِ، والقَرَاصِنَةُ يُسُوقُونَهَا
أمامَهُمْ، وَهُمْ يَتَضَاكِرُونَ فرحين بغيمتهم السهلة .

وابتعدَ منصورٌ عن طريقِهِمْ، واختفى بَيْنَ الْقَصَبِ حَتَّى
خَرَجَ فِي مَرَجٍ قَرِيبٍ تَرَعَى بِهِ فَرَسٌ اعتادَ مَنْصُورٌ رُكُوبَهَا . وحينَ
رَأَتْهُ رَفَعَتْ أُذُنَيْهَا وَجَاءَتْ نَحْوَهُ . فَصَعَدَ عَلَى ظَهْرِهَا بِقَفْزَةٍ
وَاحِدَةٍ، وَصَاحَ فِيهَا :

- رِي . . رِي !

وصَهَلَتِ الْفَرَسُ، وانطلقتْ تَرْكُضُ كَسَهُمْ يَحْتَرِقُ الرِّيحَ .
وَلَمَحَهُ أَحَدُ الْقَرَاصِنَةِ فَصَوَّبَ مَسَدَّهُ نَحْوَهُ، وَأَخَذَ يُطْلِقُ
النَّارَ . وَالتَّصَقَّ مَنْصُورٌ بظَهْرِ الْفَرَسِ حَتَّى صَارَ طَرْفًا مِنْهَا . .

وَمِنْ أَعْلَى التَّلِّ الْمُؤَدِّيِ إِلَى الطَّرِيقِ الْعَامِ، حَيْثُ يُوجَدُ مَرَكُزُ
الْشَّرْطَةِ، رَأَى مَنْصُورٌ قَائِدَ الْقَرَاصِنَةِ يَتَوَجَّهَ نَحْوَ زَرِيئَتِهِ بَيْنَ
الْقَصَبِ، فَيَفْتَحُهَا وَيُخْرِجُ الشَّيْأَ، فزَادَهُ ذَلِكَ حِقْدًا عَلَيْهِمْ،
وَرَغْبَةً فِي الْاِنْتِقَامِ .



وعلى الشَّاطِئِ شَحَنَ اللُّصُوصُ الزُّورِقَ بِخَمْسَةِ أَكْبَاشٍ .
وحيثَ بَحَثُوا عَنِ المِجْدَافَيْنِ لَمْ يَجِدُوهُمَا .

وأخذَ قائدهم الشَّرِسُ يَصِيحُ فِيهِم ، ويركلُهُم ، صَارِحًا :
- ابْحَثُوا عَنِ المِجْدَافِ ! أَيْنَ وَضَعْتُمُوهُمَا ، أَيُّهَا الكِلَابُ ؟!
وانتَشَرُوا يَبْحَثُونَ بَيْنَ الأَعْشَابِ ، وَوَسَطِ القَصَبِ ، وكثيرُهُم
يُجَاوِلُ جَمَعَ الأَغْنَامِ الَّتِي بَدَأَتْ تَتَفَرَّقُ . .

واجْتَمَعَ عَلَيْهِ كِلَابُ القَرِيَةِ يَبْحَثُونَ ، وَهُوَ يَطْلُقُ النَّارَ
لِيُبْعِدَهُمْ عَنْهُ ، فَلَا يَزِدَادُونَ إِلَّا غَضَبًا وَشِرَاسَةً . .
وأخيرًا صَاحَ بِرِجَالِهِ ليرجعُوا . وَحِينَ اجْتَمَعُوا حَوْلَهُ ، قَالَ
لَهُمْ :

- سَنَنْقُلُ الأَغْنَامَ إِلَى المَرْكَبِ بَدُونِ مِجْدَافٍ .

فَسَأَلُوا جَمِيعًا بِاسْتِغْرَابٍ :

- وَلَكِنْ ، كَيْفَ ؟

- سَنَجْرُهَا بِالحَبْلِ مِنَ البَرِّ إِلَى المَرْكَبِ .



وفِعلاً سَبَحَ أَحَدُ الْقَرَاصِنَةِ بِطَرْفِ الْحَبْلِ إِلَى الْمَرْكَبِ ، وَمِنْ
هُنَاكَ أَخَذَ يَجُزُّ الْقَارِبَ الْمَشْحُونِ بِالْأَغْنَامِ ، هُوَ وَزَمِيلُهُ
الْمِيكَانِيكِي ، وَيَفْرَغَانِهِ ، ثُمَّ يَجْذِبُهُ آخَرُونَ مِنَ الشَّاطِئِ بِحَبْلِ آخَرَ
فِيْمَلَأُونَهُ بِالْحَيَوَانَاتِ . . وَهَكَذَا حَتَّى شَحْنُوا آخَرَ خُرُوفٍ .

وَوَقَفَ نِسَاءُ الْقَرْيَةِ ، وَعَجَائِزُهَا ، وَصِبْيَانُهَا ، يَتَفَرِّجُونَ فِي
حُزْنٍ عَلَى الْقَرَاصِنَةِ ، مِنْ فَوْقِ التَّلِّ ، وَهُمْ يَرْكَبُونَ الزُّورِقَ ،
وَيَتَضَاكُونَ ، وَيُلَوِّحُونَ إِلَيْهِمْ صَائِحِينَ :

- شَكَرًا ، إِلَى السَّنَةِ الْقَادِمَةِ ! عَلَّفُوا أَغْنَامَكُمْ جَيِّدًا !

وَابْتَعَدَ الزُّورِقُ بِهِمْ عَنِ الشَّاطِئِ .

* * *

وَفِي الْمَرْكَبِ صَاحَ رَئِيسُهُم بِالْمِيكَانِيكِي :

- أَدِرِ الْمَحْرَكُ !

فَأَجَابَ الْمِيكَانِيكِي :

- حَالًا !

وَدَخَلَ غُرْفَةَ الْقِيَادَةِ . وَمَا إِنَّ أَدَارَ مِفْتَاحِ الْمُحَرِّكِ حَتَّى سَمِعَ
صَوْتًا غَرِيبًا كَصَوْتِ انفِجَارٍ ، سَكَتَ عَلَى إِثْرِهِ الْمُحَرِّكُ .
وَعَادَ يُدِيرُ الْمِفْتَاحَ لِتَشْغِيلِهِ مَرَّةً أُخْرَى دُونَ جَدْوَى .
وَسَمِعَ الْقَائِدُ ذَلِكَ فَجَاءَهُ :

- مَاذَا حَدَّثَ ؟

- لَا أَدْرِي . . الْمُحَرِّكُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَدُورَ .

فَاسْتَشَاطَ الْقُرْصَانُ الْفِظَ غَضَبًا ، وَلَكُمِ الْمِيكَانِيكِي فِي وَجْهِهِ
صَارِحًا فِيهِ :

- مَاذَا تَقُولُ ؟ !

وَأَمْسَكَ بِتَلَابِيهِ ، وَأَخَذَ يَهْزُهُ بَعْنَفٍ قَائِلًا :

- أَضْلِحْ ذَلِكَ الْمُحَرِّكَ حَالًا ، وَإِلَّا مَلَأْتُ رَأْسَكَ رِصَاصًا !

وَوَضَعَ فَوْهَةً مُسَدَّسِهِ فِي فَمِ الْمِيكَانِيكِي الْمَذْعُورِ !

وَهُنَا سُمِعَتْ طَلْقَةٌ مَدْفَعِ قَوِيَةٍ مِنْ بَعِيدٍ ، وَجَاءَ أَحَدُ

اللُّصُوصِ مُسْرِعًا إِلَى رَئِيسِهِ ، وَصَاحَ مُشِيرًا إِلَى جِهَةِ الْغَرْبِ :

- سَيِّدِي ، انظُرْ . .

وَحَرَجَ الْقُرْصَانَ الْكَبِيرُ مِنْ غُرْفَةِ الْقِيَادَةِ ، وَنَظَرَ فَإِذَا خَافِرَةٌ
شَوَاطِيءٌ ضَخْمَةٌ تَشُقُّ الْبَحْرَ نَحْوَهُمْ .

وَحِينَ اقْتَرَبَتْ مِنْهُمْ أَخْرَجَ قَائِدُ الْحَرَسِ بُوقًا وَوَجَّهَ الْكَلَامَ إِلَى
الْقَرَاصِنَةِ :

- مَدَافِعُنَا مُوجَّهَةٌ نَحْوَكُمْ ! أَلْقُوا بِأَسْلِحَتِكُمْ فِي الْبَحْرِ ،
وَارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ !

وَرَمَى الْقَرَاصِنَةُ أَسْلِحَتِهِمْ ، وَرَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ . وَلَكِنَّ رَئِيسَهُمْ
رَكَزَ الْمُسَدَّسَ فِي حَزَامِهِ ، وَقَفَزَ إِلَى الْمَاءِ فِي اتِّجَاهِ الشَّاطِئِ .

وَمَا كَادَ يَلْمَسُ الرَّمْلَ حَتَّى اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ النِّسَاءُ
وَالْأَطْفَالُ ، وَأَخَذُوا يَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ ، وَيَهْوُونَ عَلَيْهِ بِالْهَرَاوَاتِ
وَالْأَقْصَابِ الطَّوِيلَةِ ، وَبَعْضُهُنَّ ارْتَمَى عَلَى سَاقِيهِ حَتَّى يَمْنَعَهُ
مِنَ الْوُقُوفِ . وَلَكِنَّهُ كَانَ قَوِيًّا كَالْبَعْلِ ، فَوَقَفَ ، وَاسْتَلَّ
مُسَدَّسَهُ ، وَأَخَذَ يَطَاقُ النَّارَ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ ، بِطَرِيقَةٍ عَشْوَائِيَّةٍ ،
فَتَفَرَّقَتِ النِّسَاءُ مَوْلَاتٍ هَارِبَاتٍ .

وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ ظَهَرَ مَنْصُورٌ عَلَى فَرَسِهِ الْبَيْضَاءِ ، وَارْتَمَى



على ظهرِ القرصانِ، وطوّقَ رقبتهُ الغليظةَ بذراعِهِ القويّةِ، وألقى
به أرضاً.. !

وعادَ النساءُ والأطفالُ، وضربتُ أمّ منصورٍ يدَ القرصانِ
بعضاً غليظةً، فسقطَ منها المسدسُ، وأحاطَ بهِ نساءُ القريةِ
الغاضبة يهددن ويتوعدن .

ولم ينقذهُ من أيديهم إلا حضورُ فرسانِ الشرطةِ الذين قدّموا
من جهةِ البرِّ على صهواتِ الجيادِ .

وكادَ القرصانُ الكبيرُ يشعرُ بالسعادةِ لقدومِ الشرطةِ ! فلو
كانوا تأخروا قليلاً لما قبضوا إلا على جثةِ هامدة !

ونقلَ القراصنةُ الأغنامَ من المركبِ إلى الشاطئِ بالطريقةِ
نفسها التي شحّنها بها .

ووضعَ رجالُ الشرطةِ الأغلالَ في أيديهم، وقادوهم إلى
المخفرِ، يتبعُهم نساءُ القريةِ والقرىِ المجاورةِ، يزغردنَ فرحاً
وشهاتةً .

* * *

وَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ أَمَامَ مَرْكَزِ الشَّرْطَةِ، فَخَرَجَ الضَّابِطُ
وَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ مَرْكَبَ الْقَرَاصِنَةِ سَيِّاعٌ، وَسْتُدْفَعُ لَهُمْ مِنْ ثَمَنِهِ
تَعْوِضَاتٌ عَلَى مَا سُرِقَ مِنْهُمْ فِي الْعَامِ الْمَاضِي. وَسَيُعْطَى مَا
تَبَقِيَ جَائِزَةً لِمَنْصُورٍ، الَّذِي لَوْلَا ذَكَوُّهُ، وَخِيَالُهُ، وَشَجَاعَتُهُ، لَمَا
قَبِضَ الرِّجَالُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَرَاصِنَةِ الَّذِينَ دَوَّخُوا الشَّوْاطِيَّ.

وَأَقَامَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ حَفْلَةً لِمَنْصُورٍ. وَتَنَازَلَ لَهُ كُلُّ وَاحِدٍ عَنِ
كَبِشٍ أَوْ عَنَزٍ هَدِيَّةً وَتَقْدِيرًا لَشَجَاعَتِهِ.

وَوَصَلَ الْخَبْرُ إِلَى مَحَافِظِ الْإِقْلِيمِ، فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِ، وَهَنَاهُ عَلَى
عِمَلِهِ الْجَرِيءِ، وَسَأَلَهُ مَاذَا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ؟ فَأَجَابَ مَنْصُورٌ
وَهُوَ تَحْتَ تَأْثِيرِ مَشْهَدِ خَافِرَةِ السَّوَاخِلِ وَضَبَاطِهَا الشَّبَابِ ذَوِي
الْبَدَلِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْأَنِيقَةِ:

- أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ شَرْطِيًّا، أَوْ حَارِسَ شَوْاطِيٍّ لِأَخْدَمَ بِلَادِي.

وَهَكَذَا دَخَلَ مَنْصُورٌ مَدْرَسَةَ خَفْرِ السَّوَاخِلِ، وَتَخَرَّجَ فِيهَا
قَائِدَ خَافِرَةِ سَرِيعَةٍ تَحْمِي شَوْاطِيَّ الْوَطَنِ.

Obwell
Oberan
(-1) 2912392